(محمود البريكان بين العزلة والتامل)

بسمة الصباح

تقديم كاظم حسن سعيد

٢٠٢٥

مقدمة

(بسبب عزوفه عن النشر وعلاقاته الانتقائية وتواريه عن الاضواء وشروطه الفنية الصعبة لم ينل الشاعر الرائد محمود البريكان مكانته في الساحة النقدية ولم يكتب عنه في حياته الا سطورا محدودة رغم اعتراف اهم النقاد و شعراء العراق كالسياب بمكانته الفنية وتفرده كشاعر ذي ثيمات غير مطروقة كبحثه التوتر بين الحياة والموت ومواجهة الاسئلة الكونية والميتافيزيقية ومصائر الانسان والاشياء و توفر امكانية فنية متفردة.

وكطبعنا نتفقد جواهرنا بعد تواريها كتبت عن البريكان بعد وفاته درسات اكاديمية آخذة بالازدياد وكتب نقدية ومختارات متواليه منها(الطرق على آنية الصمت

اسامة الشحماني ، اطروحة ماجستير و الجملة الشعرية في قصائد البريكان د.ولاء محمود اطروحة دكتوراه ، ومتاهة الفراشة تقديم ومختارات لباسم المرعبي. .البذرة والفأس رياض عبد الواحد...كاتم اصوات الكلمات د.عبد الرضا علي..والبريكان مجهر على الاسرار وجذور الريادة لكاظم حسن سعيد وغيرها).

كما انشئت حوله ملفات اهمها في مجلة بصرياثيا الادبية ومجلة الاقلام١٩٨٨ وملف البريكان في انطولوجيا السرد العربي الذي تجاوز ١٠٠ مقال ودراسة.

قال لصديقه الاقرب رشيد ياسين(لست لغزا لكن فهمي بالغ التكاليف) وذكر في مقابلة معه (اصنع قارئا على غراري واترك الاخرين احرارا).

واسر لي شخصيا(سري الصغير الكبير هو اني اتبع نفسي).

هنالك مفاتيح غاية الاهمية لتفهم ادب وشعر البريكان منها انه يتخطى نفسه كتابة باستمرار ومنها قاموسه المتفرد فمفردة مثل(الابد) باشتقاقاتها المتعددة تراها وفيرة في شعره ومثلها كلمات الازل والمجد حتى انه اسمى ولديه (ماجد وخالد) رغم اعترافه بان(المجد

للصخر الذي ليس له معنى).. وقوله(لا مجد للمجد فخذ يا ضياع حقيقتي واسمي).

وعندما استخدم مفردة البسيط بقوله(ما انت بالبسيط

وسوف لن تفهم شيئا من فم القدر).. كان يعني بها المفهوم المسيحي للبساطة اذ يقول (كونوا بسطاء كاليمام وحذرين كالحيات.).

لكن تفرد قاموس البريكان الشعري يحتاج لدراسة متخصصة وانشاء معجم خاص كما فعل الروس مع شاعرهم بوشكين فيما كانت المفردات غالبا لدى كثير من الشعراء متشابهة.

قال البريكان (اريد من المفردة ان تكون قريبة من الدقة العلمية وان تحمل طاقة ايحائية).

لقد ابتكر البريكان اساطيره غير المستوردة مثل (اسطورة السائر في نومه) متحررا من تأثير اليوت واساطيره في الشعر الحديث.

في عمر مبكر ١٦ سنة نشر محمود البريكان قصائده في اهم المجلات الادبيه مثل مجلة الاديب اللبنانية في الاربعينيات من القرن الماضي.

ولو دققت في قصائد تلك المرحلة كقصيدة غسق والتراب ونظرت لعمره وهو يكتبها ستقر بانك امام شاعر واعد مختلف واستثنائي.

لقد انطلق كاقرانه المعدودين في الاربعينيات من القرن الماضي مما انتهى اليه الشعر الرومانسي الذي بدا مع شعراء المهجر في الربع الاول من القرن العشرين ولقد تجاوز هؤلاء الشعراء الواعدون الارتداد الذي احدثه الرصافي والزهاوي وثبتوا الشعر الحديث الحر تحديدا رغم قرش الكلاسيكية التي انبرت لتحد من اندفاعهم او لتجهض مشروعهم الحداثوي لكنهم اصروا ولقوة الشاعرية تركوا بصمتهم وعمقوا وطوروا منهجهم حتى تقبل الناس الحداثة واصبحت من المسلمات.

لكن السياب كان حالة وسطا بين الكلاسيكية والحداثة متارجحا بينهما فيما كان البريكان خالص الحداثة نتاجا مما جعل تقبله اكثر صعوبة.

ان اهتمام البريكان بالفكر الفلسفي وميله للتامل بالوجود دفعه لوضع كتابه عن فلسفة الرازي الذي ينتظر النور..

وان اهتمامه بالموسيقى دفعه لوضع كتابه عنها يتعلق بتصحيح المصطلح النقدي الموسيقي ..وهو لم يصدر للان.

لقد فقدنا البريكان اثر مقتله بحادث سطو وفقدت مؤلفاته اثر ذلك لكن تم الكشف عنها مؤخرا وجلبها من السعودية وستصدر مجموعته الشعرية الكاملة قريبا.

هذا الكتاب

(محمود البريكان بين العزلة والتامل: دراسة نقدية) وضعته الكاتبة الواعدة السورية بسمة الصباح تناولت فيه عشرات القصائد المهمة للبريكان مثل النهر الغامض والبدوي الذي لم ير وجهه احد و... مع مختارت من قصائد الشاعر. تناولته بروح شاعرة متذوقة حساسة الالتقاط وهو اقرب لانعكاس ذائقة فنية منه للبحث الاكاديمي واراها وفقت بفك شفرات الكثير من قصائد البريكان والغور بابعادها العميقة.وتسليط الضوء على جمالها.

كاظم حسن سعيد

العراق

٢٠٢٥

مقدمة

(محمود البريكان شاعر الترقب والانطفاء البطيء)

في زاويةٍ خفيّةٍ من الذاكرةِ الشعريّةِ، حيثُ يعلو الصمتُ على الضجيجِ، يقفُ الشاعرُ محمود البريكان شامخاً كشجرةٍ وحيدةٍ على حافةِ الريحِ، يخطُّ قصائدَه كمن يكتبُ قدرَه، بحروفٍ من ظلالٍ وأضواءٍ، وبنبضٍ يُحاكي أنينَ الأشياءِ المُهملةِ في زوايا الحياةِ، تاركاً صوتَه يتردّدُ في صمتِ العزلةِ.

شاعرٌ لم يسعَ إلى الأضواءِ، أرادَ أن يكونَ صوتًا في العزلةِ، ينسابُ بين الوجودِ والعدمِ، ينحتُ صمتَه العميقَ على صخرةِ الشعرِ الخالدةِ.

اختارَ البقاءَ في الظلِّ، يخطُّ كلماتِه بحذرٍ، وكان غزيرَ الإنتاجِ الأدبيِّ وقليلَ النشرِ، عميقَ الأثرِ في النفوسِ.

لغتُه مسكونةٌ بالتأملِ، بنيانُها متينٌ كقلبٍ يرفضُ الانهيارَ رغمَ صدأ السنينِ.

ليس بشاعرِ الاندفاعِ، بل هو شاعرُ الترقبِ. يقفُ عند حافةِ الأشياءِ، يتأملُها بعمقٍ، يتردّدُ في النطقِ، فإذا نطقَ، جاءَ كلامُه كشظايا ضوءٍ في عتمةٍ.

البريكانُ شاعرُ التكثيفِ، لا يميلُ إلى الإسهابِ، يعتمدُ على الإيحاءِ والترميزِ، بلغةٍ شعريّةٍ مشحونةٍ بالدلالاتِ، تُحاكي الرؤى أحيانًا، وتتكئُ على الصورِ الحسيّةِ المتجرّدةِ أحيانًا أخرى. يستلهمُ الرمزيّةَ، لكنّه لا يغرقُ في الغموضِ، بل يتركُ شقوقًا في المعنى لإدخالِ الضوءِ.

قصائدُه ترتكزُ على أعمدةٍ خفيّةٍ من الإحساسِ المرهفِ، وتقومُ على التشبيهاتِ المبتكرةِ والاستعاراتِ العميقةِ، وله قدرةٌ فريدةٌ على تحويلِ الأفكارِ العاديّةِ إلى إشاراتٍ فلسفيّةٍ.

تبدو الكلماتُ في شعرِه كحجارةٍ مرصوفةٍ على طريقٍ ضيّقٍ، كلٌّ منها يؤدّي إلى الآخرِ، في بناءٍ شديدِ الدقّةِ، خالٍ من الترهلِ والترفِ.

لا يغريه الطولُ، ولا يهتمُّ بتكديسِ الصورِ، بل يختارُ كلماتِه بتأنٍّ وثقةٍ.

أكبرُ ما يواجهُه البريكانُ في نصوصِه هو صراعُه مع الأملِ المستحيلِ، ومع الحلمِ الذي يتضاءلُ أمامَ عينيه لكنّه لا يجرؤُ على فقدانِه تمامًا.

هذا القلقُ والتوترُ يجعلانِ قصائدَه أقربَ إلى هواجسِ الإنسانِ المعاصرِ، الذي يُدركُ أن الخرابَ قادمٌ، لكنّه يظلُّ يُحدّقُ في الأفقِ، باحثًا عن نجمةٍ لم تنطفئ بعدُ.

لا يلجأُ البريكانُ إلى المجازاتِ المتكلّفةِ، بل يتركُ قصيدتَه تتنفسُ على مهلٍ، يعرضُ المشهدَ دون أن يُخبرَنا كيف نشعرُ حياله. ويُحمّلُ المعنى أبعادًا متعددةً، وقد لا يُفهمُ النصُّ من القراءةِ الأولى، بل يحتاجُ إلى تأملٍ وتركيزٍ.

يتكاملُ النصُّ في نسيجٍ متكاملٍ، فتُشكّلُ القصيدةُ كتلةً عضويّةً وشعوريّةً واحدةً.

ورغمَ عزلتِه، لم يكنْ شاعرًا منفصلًا عن القضايا الحياتيّةِ للإنسانِ، فهو يُلامسُ همومَ العابرينَ، وكان يجدُ قارئَه الحقيقيَّ ولو بعدَ زمنٍ طويلٍ.

محمودُ البريكانُ من أولئك الشعراءِ الذين كتبوا للذين سيأتون بعدهم، لا لمن حولهم. ولهذا، ستظلُّ نصوصُه قادرةً على أن تبعثَ الدهشةَ في نفس كلِّ من يقرأُها.

إنه شاعرٌ نحتَ اسمَه في صمتٍ غامضٍ، لكن صمتَه كان أعلى من ضجيجِ الكثيرين.

سيظلُّ محمودُ البريكانُ كنجمةٍ بعيدةٍ تأبى الأفولَ، تتلألأ بصمتٍ في سماءِ الشعرِ، لا تُرى إلا لمن يُمعنُ النظرَ طويلًا في العتمةِ.

كتبَ كمن ينحتُ ظلَّ روحِه على جدارِ الزمنِ، فكان صوتُه امتدادًا لذلك الحنينِ الدفينِ، ولتلك المسافةِ المعلّقةِ بين الحلمِ والانطفاءِ.

لم يكنْ صخبُ الأضواءِ غايتَه، بل كانت نصوصُه تتسرّبُ إلى القلوبِ العطشى للفكرةِ والدهشةِ، وللحقيقةِ الموحشةِ التي لا تُقالُ إلا همسًا.

إنه الشاعرُ الذي اختارَ أن يكونَ صمتُه قصيدةً، وأن يكونَ حضورُه غيابًا مشحونًا بالمعنى.

ورغمَ رحيلِه، فإن صوتَه لا يزالُ يترددُ في فراغِ الذاكرةِ، كأنينِه الأخيرِ الذي لم يكنْ سوى بدايةٍ لصدى طويلٍ، يمتدُّ ويترددُ في فضاءاتِ التميّزِ والإبداعِ.

بسمة الصباح

+++++

قصيدة *البدوي الذي لم ير وجهه أحد*

تُعَدُّ قصيدة "البدوي الذي لم يرَ وجهه أحد" من الأعمال الشعرية الهامة التي تتناول موضوع الاغتراب والبحث عن الهوية.

يُصوِّر الشاعر المبدع في هذه القصيدة تجربة الإنسان البدوي الذي يجوب البوادي والصحارى، محاولاً اكتشاف ذاته ومعنى وجوده.

تتميز القصيدة ببنية سردية تتبع رحلة البدوي في بحثه عن هويته ومعنى حياته. يبدأ الشاعر بتقديم صورة للبدوي الذي لم يرَ وجهه أحد، مما يرمز إلى الغموض والبحث المستمر عن الذات.

يستخدم في هذا النص لغة غنية بالصور الشعرية والاستعارات التي تعكس عمق التجربة الإنسانية للبدوي.

فعلى سبيل المثال، يصف الشاعر وجه البدوي بأنه "غضّنته المهالك وافترسته الحروب"، مما يعكس تأثير التجارب الصعبة على ملامح الإنسان.

يستمر الشاعر في تصوير رحلة البدوي عبر العصور والأماكن، مشيراً إلى تجاربه المتنوعة ومعاناته المستمرة.

ووظف الشاعر ببراعةٍ تقنية التكرار اللفظي لتعزيز الإحساس بالتيه والبحث المستمر، مما يعكس حالة الاغتراب والضياع التي يعيشها البدوي.

تتناول القصيدة موضوعات الوجود والهوية والبحث عن المعنى.

حيث يطرح الشاعر تساؤلات حول جدوى الرحلة ومعنى الحياة، التي تعكس حالة الشك والبحث عن الحقيقة التي يعيشها الإنسان في رحلته الوجودية.

يبرز في النص قوة الإرادة البشرية في مواجهة التحديات والصعاب.

فعلى الرغم من المعاناة والضياع، يستمر البدوي في رحلته، مما يعكس الإصرار على البحث عن الذات والمعنى.

ختاماً:

تُعَدُّ قصيدة "البدوي الذي لم يرَ وجهه أحد" عملاً شعرياً عميقاً يستكشف تجربة الإنسان في بحثه عن هويته؛ مستخدماً لغة غنية بالصور الشعرية والاستعارات التي تعكس عمق التجربة الإنسانية.

.. ...

\ قصيدة البدوي الذي لم ير وجهه أحد \

لعلك يوماً سمعت عن البدوي العجيب
الذي كتب الله أن لا يرى وجهه أحد
وجهه الأول المستدير البرئ
الذي غضّنته المهالك وافترسته الحروب
وخطت عليه المآسي علاماتها.
نمت طبقات الزمان
على جلده.. فهو لا يتذكر صورته
صورة البدء

مستغرباً في مرايا المياه ملامحه الغامضة

أنا هو ذاك

أنا البدوي الغريب يجوب البوادي

ويطوي العصور ويعبر جيلا فجيلاً

إلى آخر الأزمنة

أنا البدوي الذي لفظته الصحارى

الذي رفضته القصور

الذي أنكرته الشموس

الذي انطفأت جذوات النجوم

على محجريه

أنا البدوي المحمل بالأوبئة

بذكرى الجنان التي اندثرت

والبراري التي دفنتها الرياح

بصوت الينابيع في الأودية

ولون البروق على صخرة اللانهاية

أنا البدوي الذي نسختـه التجارب

واختمرت صهوات الجياد إرادته

في الرحيل الطويل.
حفظت أغاني الزوابع عبر الأفق
وكنت امرأ القيس في التيه،
والمتنبي على الطرق النائية
وفي عزلة الروح كنت المعري رهين السجون الثلاثة،
وكنت دليل القوافل عبر المفاوز
وكنت الذي يوقد النار للطارقين
وكنت أنا الضيف والفارس المتوحد يأتي المضارب
محتجباً بلثام الغموض
وكنت أنا الزائر الهادئ المنزوي في المجالس
سمعت كلام النبي
وآمنت.. لكن رأيت الدماء التي انفجرت
وحروب السلالات
والقوة العارية تمارس لعبتها وتُغيّر ألوان راياتها.
أنا الشاهد الأبدي
على الموت، تسقط ذاكرتي في الظلام.
أقمت على صخرة الروح مملكتي

وفتحت حدود المقادير يوماً
فمن أين دبّ البوار أليّ؟
وفي أي مرحلة في الطريق
بدأت ضلالي؟
تلاشيت بين المقاصير
اعصرتني المخادع
واستعبدت روحي الطيبات
إلى أن تفتت لحمي
نسيت صهيل جوادي
ولم يكن السيف رهن يدي عندما اقتحم الآخرون
مداخل حصني الأخير
دخلت عصوراً من الخوف
بايعت في حضرة السيف والنطع
خضت حروب سواي
وما عدت أذكر مغزى حروبي.
رأيت كلاب الملوك
تطاردني في المنام

رأيت الرجال

وهم يخدمون كلاب السلاطين.. أو يُضحِكون

الطواشية المتخمين

وقوفاً وراء الموائد.

وكالببغاء التي هرمت

كنت أملك هذا اللسان ولا أتذكر شيئاً

تخاطبني الريح

أفتح عيني،

هل كان ذلك حلماً بعمق الزمان؟

وهل أحلم الآن؟

ها أنا في عالم يتفجر حولي بايقاعه المتوحش

طاحونة بقوى الظلمات تدور بأسرع مما أفكر

عقول وراء المكاتب تبدع هندسة الموت

للمدن اللاهية.

صواريخ منصوبة باتجاه النجوم

جيوش تخوض حروباً خفية

أيقهر هذا الدوار؟ سأجمع أجزاء روحي

وأبحث ثانية عن مكاني وأسمي ومسقط رأسي

وما ترك الدهر لي من سلالة أهلي

عسى أن يتم التعرف يوماً.

أحس وراء صلابة جلدي

وراء قناعي القديم

وراء برود عظامي

أحس اختلاجة روح خفي

بصيص براءة

وبقيا من القوة الغاربة

ونازعة تشبه البعث.

هذا الرميم

متى يتحرك؟

هذه العروق

متى تتدفق بالدم؟

هذي اليد الذابلة

متى تتحرر من موتها

متى يا الهي؟!

متى؟؟

++++++

قصيدة

النهر الغامض

يستحضر الشاعر محمود البريكان في قصيدته صورة نهر خفي يجري تحت الأرض، رمزًا للأسرار الدفينة والحقائق المستترة في أعماق الوجود.

فهذا النهر الذي "يجري بهدوء" و"في الظلمة"، بلا صوت أو شكل، يعكس تلك الجوانب الغامضة من حياتنا التي لا نراها ولا ندركها بسهولة.

يمتد النهر تحت "الصحراء المحترقة" و"حقول وبساتين" و"قرى ومدن"، مما يشير إلى استمرارية الحياة وتدفقها، رغم التباينات الظاهرية بين المناطق والأماكن. إنه يجري نحو "مصبات مجهولة"، عبر "كهوف وبحيرات وصهاريج"، مما يعكس مسار الحياة الغامض والمجهول، حيث لا نعرف دائمًا إلى أين تقودنا تياراتها.

استخدم الشاعر لغة بسيطة ومباشرة، لكنها تحمل في طياتها عمقًا فلسفيًا وتأمليًا.

فالنهر الذي "ينحت مجراه ببطء" و"يزامن نبض الأرض" يرمز إلى التكيف مع الظروف والتغيرات، والتعايش مع نبض الكون.

عدم وجود اسم أو أثر لهذا النهر في "أية خارطة" أو "أي دليل سياحي" يعكس تلك الجوانب من حياتنا التي تظل غير معروفة وغير مكتشفة، لكنها مع ذلك تؤثر فينا بطرق غير مرئية.

محمود البريكان، الذي عاش حياة متوارية عن الأضواء، يعبر في هذه القصيدة عن رؤيته العميقة للعالم والوجود، مستخدمًا رمزية النهر الغامض ليعكس تلك الأبعاد الخفية في حياتنا.

إنها دعوة للتأمل في ما هو غير مرئي وغير معلوم، والاعتراف بأن هناك دائمًا ما هو أبعد من السطح الظاهر.

+++++++

قصيدة *النهر الغامض*

النهر الغامض

تحت الأرض

يجري بهدوء

يجري في الظلمة

لا صوت له

لا شكل له

يجري تحت الصحراء المحترقة

تحت حقول وبساتين

وتحت قرى ومدن

يجري.. يجري

نحو مصبات مجهولة

عبر كهوف وبحيرات وصهاريج

ينحت مجراه ببطء

ويزامن نبض الأرض

النهر الغامض تحت الأرض

يجري أبداً

يجري.. يجري

لا أسم له

لا أثر له

في أية خارطة

في أي دليل سياحة..

.....

قصيدة*غياب شاشة*

للشاعر محمود البريكان

غياب شاشة

مخزن الأمتعة

والأثاث القديم

يتنفس فيه السكون

يتساقط فيه الزمن

كغبار

هاهنا كانت الشاشة الساطعة

وسط هذا الجدار

وهناك كانت القاعة الواسعة

قاعة العرض مكتظة في الظلام

والشعاع الذي يتراقص بين الظلال

يموج عوالم للحب والسحر والخوف والانتصار

والمغامرة الرائعة

ورجال الفروسية الاولين

والنساء الجميلات، والسفن الخالدة

وبلاد الكنوز الخفية

والمدن الهائلة

والبيوت البسيطة رافلة في الدعة

والسعادة خالصة

والدموع

.

للمكان

روحه الصامتة

للهواء روائحه الباهتة

كرماد حريق قديم

السكون

وحده يتنفس.

الكائنات الخفية تكمن داخل أشيائها

المهود التي صدئت.

الأسرة ذات النقوش

الكراسي بأذرعها الناحلة.

المناضد مكسورة بعض أطرافها.

الخزانات مغلقة.

الزهور الصناعية الشاحبة

الأواني. المعاطف. الأغطية

أطر الصور الفارغة

متعلقة بالجدار

.

لحظة تتصاعد وشوشة الناس في قاعة العرض

حين تشع حروف

(النهاية)

حين تضاء المصابيح ثانية...

من ترى يتذكر؟ أين الوجوه التي ائتلقت؟

والعيون التي شاهدت كل شيء؟

وهل غادر الناس أحلامهم وانتهوا؟

وانطوى مهرجان الحياة، كما تتلاشى الظلال

على شاشة خالية؟

. .....

قصيدة

\غياب شاشة\

يتجلى الشاعر محمود البريكان في هذه الفصيدة ،كفنان يرسم بريشة الكلمات لوحةً تنبض بالحياة، رغم سكون المكان وغياب الحركة.

يصف الشاعر مخزن الأمتعة والأثاث القديم، حيث "يتنفس فيه السكون" و"يتساقط فيه الزمن كغبار".

هذا المكان الذي كان يومًا ما ينبض بالحياة، أصبح الآن شاهدًا صامتًا على مرور الزمن وتغير الأحوال.

يستحضر الشاعر ذكريات القاعة الواسعة، التي كانت "مكتظة في الظلام"، حيث يتراقص الشعاع بين الظلال، حاملاً معه عوالم من الحب والسحر والخوف والانتصار.

ويستعرض ببراعة صورًا لأبطال الفروسية والنساء الجميلات والسفن الخالدة وبلاد الكنوز الخفية، مما يعكس ثراء الخيال وجمال التصوير.

يركز الشاعر في المقطع الثاني على روح المكان الصامتة، حيث "للهواء روائحه الباهتة كرماد حريق قديم".

ويصف الأثاث المهمل والكائنات الخفية الكامنة داخله، مثل "المهود التي صدئت" و"الأسرة ذات النقوش" و"الكراسي بأذرعها الناحلة".

هذه التفاصيل الدقيقة تعكس حالة الجمود والركود التي أصابت المكان بعد أن كان مليئًا بالحياة.

يستحضر الشاعر في المقطع الأخير لحظة انتهاء العرض السينمائي، حين "تتصاعد وشوشة الناس في قاعة العرض" وتضاء المصابيح ثانية. يتساءل الشاعر بعمق عن مصير الوجوه التي ائتلقت والعيون التي شاهدت كل شيء، وهل غادر الناس أحلامهم وانتهوا؟

هذا التساؤل الوجداني يعكس تأمل الشاعر في طبيعة الحياة والزمن، وكيف أن "مهرجان الحياة" قد ينطوي كما تتلاشى الظلال على شاشة خالية.

أسلوب الشاعر يتسم بالعمق والبلاغة، حيث يستخدم تراكيب لغوية متينة وصورًا بيانية مؤثرة تنقل القارئ إلى قلب المشهد.

تظهر في القصيدة لمسات من الحنين والتأمل في الزمن والتغير، مما يجعلها نصًا غنيًا بالدلالات والمعاني.

محمود البريكان، بشاعريته الفذة، ينجح في تحويل مشهد ساكن إلى لوحة حية تنبض بالمشاعر والتأملات، مما يجعله واحدًا من أبرز الشعراء الذين أبدعوا في تصوير عمق التجربة الإنسانية.

+++++++

قصيدة "إنسان المدينة الحجرية"

تعد هذه القصيدة من الأعمال الأدبية التي تتناول بعمق تجربة الإنسان المعاصر في المدينة الحديثة، حيث يُصَوِّر الشاعر حالة الاغتراب والعزلة التي يعيشها الفرد في مجتمعٍ ماديٍّ صلب.

تبدأ القصيدة بوصف العالم المطمور تحت الأرض، حيث المتاهات المصنوعة من الحديد والإسمنت والحجر، مما يعكس البيئة الحضرية القاسية التي تحيط بالإنسان.

يستخدم الشاعر استعارة "عنكبوت الخوف والضجر" ليرمز إلى المشاعر السلبية التي تتسلل إلى نفوس سكان هذه المدينة، حيث الطرق الصامتة تُعَبِّر عن انعدام التواصل والحياة.

يُشير الشاعر إلى "لابرنث الموت" كمكان يهلك فيه البشر شوقاً إلى الحياة، حيث يضيع الصوت ويفقد الأثر، مما يرمز إلى فقدان الهوية والاتجاه في هذا العالم المعقد.

بينما تُعَبِّر العبارة "كأنما تلهث في لهاثك العصور" عن استمرارية المعاناة الإنسانية عبر الزمن، وكأن الإنسان يدور في حلقة مفرغة من الضياع والبحث عن معنى.

في وسط هذه الظلمات، تبرز في عيني الإنسان "شيء ما عن الربيع"، مما يدل على الأمل الكامن في داخله، ورغبته في الهروب من السجن الصخري إلى عالم مليء بالحياة والألوان.

يُعَبِّر الشاعر عن الحلم بالشمس التي تضيء وتلون الأرض، وعن رقص الزهر البريء، مما يعكس التوق إلى الطبيعة والحياة البسيطة بعيداً عن تعقيدات المدينة.

تبرز في القصيدة قدرة الشاعر المبدع على استخدام الصور الشعرية والاستعارات للتعبير عن مشاعر العزلة والبحث عن المعنى.

ختاماً:

تشكِّل العناصر الإيجابية في القصيدة دعوة للتفكير في واقعنا الحالي وإعادة الاتصال بجوانب الحياة الأكثر إنسانية وطبيعية بعمق وجداني.

.. ...

(إنسان المدينة الحجريّة)

في العالم المطمور تحت الأرض، في متاهْ
قدّ من الحديد والاسمنت والحجرْ
حيث يمد عنكبوت الخوف والضجرْ
خيوطه في طرق الصمت، ولا مفرْ...
في لابرنث الموت، حيث يهلك البشرْ
شوقاً الي الحياة
حيث يضيع الصوت، حيث يفقد الأثرْ
أنت هنا تدورْ
كأنما تلهث في لهاثك العصورْ
أنت هنا... ماذا تغني أنت للقبور؟
ماذا تقول للظلام الفظ والصقيع؟

وما الذي تسر للوحدة ؟

تدور! في عينيك شئ ما عن الربيعْ

وعن سماء لم يمر العدم المريع

بأفقها، وعن مكان ضاحك وديع

يغسله الفجر، ويرويه السنى وحده!

انت هنا في سجنك الصخري، في دروب

تلتف، تلتقي، وتلتف، ولا يؤوب

أسيرها، تحلم بالعالم، بالهروب

من السكون الوحش، من خيالك المتعبِ

من صوتك الأبح، من وقع الخطى الأشهبِ

من الرؤى يدركها الذبول والجفاف

كالزهر، كالعنقود بعد موسم القطافْ

تحلم بالعالم، بالشمس التي تضيء

تلون الأرض، ورقص الزهر البريء

تحلم: أبعاد، وآفاق وأغنيات

وأعين ضاحكة، رائعة اللغاتْ

شواطئ مديدة، ليس لها مدى

جزائر مفعمة بالعطور والندى
مدائن غريبة، تموج بالحياة
عواصم مخيفة الهدير والصدى
ملامح تطبع في النفس، مصادفات
عجيبة، دموع أحزان، وقهقهات....
تحلم بالعالم حيث ترسخ الجذور
وتلعب الرياح
حيث يكون الليل حلماً فرحاً جسور
بمشرق الصباحْ.
كم ساعة قضيت من أمسية حزنى
تنظر في البحر الذي ليست له حدودْ
ماذا تقول أنت للموج الذي يعودْ
بعد ارتطام بالصخور الخضر (الخلودْ
للصخر.... للصخر الذي ليس له معنى...)
ماذا تقول أنت للطير التي تحومْ
على اشتعال الماء؟ والقش الذي يعومْ
خلاله (لعله من منبت سحيقْ

جاء ونحو شاطئ محتجب عتيقْ

سينتهي!) وما الذي تقول للشراعْ

الأبيض الخفاق، والريح التي تهيم

في مرح كبهجة الأطفال واندفاع !

ماذا تقول أنت في هدوئك الأليم

للأفق المدور المغلق؟ والشعاع؟

ألم تكن يوماً

طفلاً جميل السر لا يحاكم البشرْ؟

ألم تكن يوماً

تهرع للشمس وتشتاق الى القمر؟

من أين جاءت هذه الوحشة في قلبك؟

كيف تلاشي الدهر عن رؤيا بلا ألوان؟

وأين ترجو أن تلاقي أيها الانسان

ما ضاع من حبك ؟

+++++++++

قصيدة "حارس الفنار"

هذه القصيدة الرائعة تُجسِّد تجربة إنسانية عميقة، حيث يقف الحارس وحيداً في فناره، منتظراً زائراً مجهولاً قد لا يأتي أبداً.

هذا الانتظار الطويل يعكس حالة من الترقب والقلق الوجودي، مما يجعلنا نتساءل عن ماهية هذا الزائر: هل هو الموت؟ أم الأمل المنتظر؟

أم مجرد وهم يعيشه الحارس ليكسر به رتابة وحدته؟

البريكان، بشاعريته الفذة، يأخذنا في رحلة داخلية إلى أعماق النفس البشرية، حيث تتصارع المشاعر والأفكار في دوامة من الحيرة والانتظار. يُذكِّرنا الحارس بضعف الإنسان أمام الزمن والمجهول، وكيف يمكن للوحدة أن تكون مرآة تعكس أعمق مخاوفنا وتطلعاتنا.

تعتمد القصيدة على تكرار مفردات مثل "الانتظار" و"الزائر" و"الزمن"، مما يخلق إيقاعاً دائرياً يعكس حالة الترقب المستمرة.

فهذا التكرار يُشعرنا بالروتين الممّل الذي يعيشه الحارس، ويُبرز فكرة الزمن الذي يبدو وكأنه متوقف.

اللغة المستخدمة في القصيدة تجمع بين البساطة والعمق، حيث يستخدم الشاعر صوراً حسية قوية تعكس حالة العزلة والانتظار.

تصويره للزمن يعكس هشاشة اللحظة وحالة التوتر التي يعيشها الحارس.

تعكس القصيدة مشاعر الوحدة والحنين إلى المجهول، حيث ينتظر الحارس زائراً قد يغير واقعه الرتيب.

هذا الانتظار يعكس توق الإنسان إلى التغيير والهروب من الروتين، وهو موضوع شائع في الأدب الرومانسي.

نجح الشاعر بنقل مشاعر الحيرة والقلق من المستقبل المجهول، حيث يقف الحارس على حافة المعلوم والمجهول، منتظراً ما قد يأتي أو لا يأتي.

هذا الشعور يعكس حالة الإنسان في مواجهة مصيره المجهول، والتساؤلات الوجودية التي تراوده.

البريكان، بشاعريته العميقة، يضعنا أمام مرآة أنفسنا، لنتأمل مخاوفنا وآمالنا في لحظات الانتظار.

قصيدته "حارس الفنار" ليست مجرد تصوير لحالة فردية، بل هي انعكاس لتجربة إنسانية مشتركة، تجعلنا نتساءل عن دورنا في هذا الكون الواسع ومعنى وجودنا فيه.

.....

| حارس الفنار|

أعددتُ مائدتي وهيأتُ الكؤوس

متى يجي ء

الزائر المجهولُ؟

أوقدتُ القناديلَ الصغار

ببقيةِ الزيت المضيءِ

فهل يطولُ الانتظار؟

أنا في انتظار سفينة الاشباحِ تحدوها الرياحْ

في آخر الساعات قبل توقف الزمن الأخير

في أعمق الساعاتِ صمتا :

حين ينكسرُ الصباح

كالنصل فوق الماء حين يخاف طير أن يطير

في ظلمة الرؤيا

سأركب موجة الرعب الكبير

وأغيب في بحر من الظلماتِ ليس له حدود

أنا في انتظار الزائر الآتي

يجيء بلا خطى

ويدقّ دقتهُ على بابي.. ويدخلُ في برود

أنا في انتظار الغامضِ الموعود تحماه الرعود

والريح

يوشكُ أن يحل الوقتُ

والأفق الطويل

خالٍ وليس هناك ظل سفينةٍ

يبدو الوجود

كالقوس مشدودا ولكن

لاعلامةَ للرحيل .

سقطت فنارات العوالمِ دون صوتٍ والرياح

هي بعدُ سيدة الفراغ وكل متجهٍ مباح.

وتغيرت طرق الكواكبِ فوق خارطةِ السماء

الآن تكذب ألف بوصلةٍ تشير الى الفناء

وعلى مسار الوهم ترسم خطها القلقَ القصير

ما من مغامرة

هو التيه المجرد في العراءْ

أتذكّر الموتى

ولون دموعهم في الزمهرير

(ولعلهم كانوا جميعا قبل ذلك أبرياء)

لم يهلكوا جوعا ولا عطشا وإن كانوا ظماء

ماتوا بداء الوهمِ

ليس لطائر البحر الجميل

شكلُ وقد لاينزفُ الدم من قتيل

أتذكّرُ المدن الخفية في البحار

أتذكّر الأموات

والسفنَ الغريقة والكنوز

وسبائكَ الذهب المصفى والعيون اللامعات

وجدائلَ الشعرِ الجميلةِ في القرار

منثورةَ

وأصابع الأيدي المحطمة النحيلة

مفتوحة لا تمسك الامواج

في الطرق الظليلة

في القاع تنتثر النياشين المدوّرة الصقيلة

وتقر أسلحة القراصنةِ الكبار

ياطالما أسريتُ عبر الليلِ أحفر في القرار

طبقاتِ ذاك الموت،

أتبعتُ الدفائن في السكون

أستنطق الموتى أرى ما كان ثم وما يكون

وأشم رائحة السكون الكامل الأقصى

أريدْ

أن لا أمثّل من جديد

آلام تجربة العصور

أن لا أُقطّع بالتوتر، أو أسمّر بالحضور

أبصرت آدم في تعاستهِ ورافقت الجيوش

في أضخم الغزواتِ نئتُ بحمل آلاف النعوش

غنيت آلاف المواسمِ

همتُ في أرض الجمال

ووصلتُ أطراف المحال

ورأيت كيف تدمّرُ المدن المهيبة في الخفاء

شاهدت مايكفي وكنت الشاهد الحي الوحيد

في ألف مجزةٍ بلا ذكرى

وقفتُ مع المساءْ

أتأمل الشمس التي تحمرّ كان اليوم عيد

ومكبرات الصوتِ قالت: كل انسانٍ هنا هو مجرمُ

حتى يقام على براءته الدليل

وسمعت أبواق الغزاة تضج

في الليل الطويل

ورأيتُ كيف تشوّه الأرواحُ جيلا بعد جيل

وفزعت من لمعان مرآتي : لعلي كالمسوخ

مسخ تقنعه الظلال

وعجبت منها دمعة في القلبِ تأبى أن تسيل

والدمع مهما رق هل يكفي لمرثيةِ الجمال؟

الوقت أدرك رعشة في الريحِ

تعكسها الصخور

الوقتُ أدرك موجة تتداحُ من أقصى الدهور

الوقتُ أدرك لست وحدي

يعرف القلبُ الجسور

أن الرؤى تمّت وأن الأفق يوشكُ أن يدور

أنا في انتظار اللحظة العظمى

سينغلق المدارْ

والساعة السوداء سوف تُشلّ تجمد في الجدار

أنا في انتظار

والساعة السوداء تنبض نبض إيقاعٍ بعيد

رقّاصها متأرجحُ

قلِقُ يميل الى اليمين

الى اليسارِ

الى اليمينِ

الى اليسارِ

الى اليسارْ.حارس الفنار

××××××××××××

قصيدة

التمثال من آشور

للشاعر محمود البريكان

برؤية بسمة الصباح

يطل علينا الشاعر العظيم محمود البريكان بهذه القصيدة كما يطل التمثال من خلف الزجاج، شاخصاً أمام قارئه لا ليكون مجرد أثرٍ جامد، بل شاهِداً على الزمن، وراوياً حكايةَ الخراب، متكلِّماً باسم التاريخ الصامت.

إنّها قصيدة تُحاكي وجوداً ممتدّاً بين الأزمنة، تحفرُ في قاع الماضي، وتتوسّدُ الحاضر بأشباحه، وتحذِّر من تكرار المأساة التي لا يتعلّم منها الإنسان.

يبدأ الشاعرُ القصيدةَ بصوت التمثال، الذي لم يكن يوماً مجرد حجرٍ جامد، بل كياناً شَهِدَ مآسي التاريخ، وأدرك نشأة المجد وسقوطه، فيقف متحدياً الزمن بكل عنفوان، ومتسائلا: يعترف الزمن بهذه الذاكرة؟

وكأنه يطالبُ بالتقدير، يُنادي الأجيالَ المتعاقبة أن تقرأ آثاره، وأن تستخرج الحقيقة من صمته.

إنّه ذاكرة الطغيان والهزيمة،والمدن التي تبنيها القوة ثم تبتلعها الحروب.

في صوته شيئٌ من اللوعة، وشيئٌ من المرارة، وكأنّ التمثال ذاته يُدرك عبثية التاريخ، ويعجبُ كيف تتكرّر المأساة ذاتها، وكأنّ الإنسان لم يتعلّم بعدُ من حُطام أسلافه.

يعتمد الشاعر بناءً سردياً يُزاوج فيه بين الحاضر والماضي، حيث ينهض التمثال من سباته الحجري، يُعيدُ تاريخه أمامنا بصيغة الشاهد العليم، فيحكي عن لحظة ولادته الأولى، حين صاغه النحّاتُ من الحجر، ثم يحكي عن دوره كمعبودٍ يُقدَّس، ثم عن المصير المحتوم لكل قوةٍ مغرورة: الدمار والسقوط.

إنّه يمثّل دورة التاريخ في أقسى صورها، حيث تتوالى على جسده مراحل المجد والانهيار، وهو ثابتٌ في موقعه، يرى العروش تتهاوى، ويرى العساكر يتناوبون على أبواب القصور، لكنه – في النهاية – ليس إلا تمثالاً، لا يستطيع أن يغيّر مصيره، ولا أن يحذّر أصحاب القوة من مصيرهم.

أما في المستوى اللغوي، فقد جاءت القصيدةُ متينة السبك، جزلة الألفاظ، مُرهَفة التصوير، وكأنّ الشاعرَ قد نقّب في أعماق اللغة ليختارَ لها أكثر مفرداتها صلابةً وعُمقاً، فتناسبت مع طبيعة التمثال، تلك الكتلة الجامدة التي تتحرّكُ عبر الزمن بفعل الكلمات، لا بفعل الحركة.

إنّ المفارقة التي صاغها البريكان هنا هي أنّ التمثال، الذي يبدو كياناً ساكناً، كان أكثر حياةً من البشر الذين مرّوا عليه، كان أكثر إدراكاً لدورة الفناء التي لم يُدركها الذين ظنّوا أنهم خالدون في عروشهم.

وإن كان في القصيدة بعض من الشجن والغُربة، فإنها أيضاً قصيدةٌ للفكر والتأمّل، تنقل القارئ إلى لحظة تأملٍ في معنى التاريخ والقوة،وفي معنى المصير.

لقد وقف الشاعر، من خلال هذا التمثال، موقفَ الفيلسوف الذي يتأمل عبثية الإنسان، يرى الممالك تتوالى، والعروش تُبنى لتُهدم، ويرى المدائن يرفعها المجد، ثم يلتهمها الخراب.

لقد قدّم البريكان في هذه القصيدة عملاً إبداعياً فذّاً، جمع فيه بين عمق الفكر وجمال الأسلوب، وبين التأمل الفلسفي والتصوير الحي، وبين الحزن النبيل والتحذير المرير، حتى بدا التمثالُ في قصيدته أكثر من مجرد حجرٍ محنّط، بل كياناً نابضاً بالحياة، يتحدّث إلينا من قلب التاريخ، ويتركُ في أرواحنا أثراً لا يزول.

ولا بدّ لي من كلمة شكرٍ وعرفانٍ للأديب كاظم حسن سعيد، الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه الدراسة.

فقاد القارئ إلى هذا الكنز الشعريّ، وأتاح له أن يتأمل روعة قصيدة محمود البريكان، من خلال رؤيتي ويُصغي إلى صوته الذي لا يزال يهزُّ الزمن، رغم الصمت الذي أحاط به طويلاً.

مختارات من شعر البريكان

(التصحر)

الدوار الخفيف

واختلال العلاقة بين النظر

والتعرف

تلك علاماته

لم يكن مرضاً واضحاً

هو ظاهرةٌ غامضة

تتسرب في الجوِّ

تفترس الآدميينَ في خفيةٍ

وتغلِّفهم بالتراب

الطيور تهاجر في غير أوقاتها

الصقور تحدق ساكنةً

صفحة الموج مغبرّةٌ

السواحل مقفرةٌ

وهياكلُ من سفنٍ غابرة

طمرتها الرمال

الصحارى المشعّة تغلق دائرة الأفق
والشمس تهبط محمرّةً
والرعود الخفيّة
بين الغيوم تدمدمُ نائيةً كوحوش.
الطيور تضيع مساراتها
وتخرُّ على الأرض يابسةً
وصقور المجاعات تربض ساكنةً
وتحدّق
المدن الشاحبة
تتقدم نحو القفار
تتراجع ثانيةً
وتلملم أطرافها الخضر
يحدث ذلك في ثانية
أو عصورْ...
الحدائق تطمرها الريح
غير أعالي شجيراتها
الجداول تعرى

خنادق حربٍ تحجّر فيها الزمنْ.

الرمال تهاجمُ

تركب متن الزوابعِ

تبتلع الشمسَ

تغزو حدود المحيطات

تدخل في فجوات الطبيعةِ

في فوَّهات البراكينِ

تطمس كلّ المسالك

تجثم عند ضواحي المدن

وتحاصرها.

المتاحف تعرض تاريخها وحده

هي ذكرى عهود المتاحفِ

يغشى التراب جوانبها

التماثيل تزداد حجماً

وتوشك أن تتفتت

كل سيوف المعارك مغمدةٌ

في غمود التراب

ثياب الملوك

تحرك أجنحةً من تراب

خلال السكون

الكتب

تتداعى مجلّدةً بالغبار

الذي يتحجّر شيئاً فشيئاً

صدور المعاجم منخورةٌ

تتلاصق أوراقها

تتآكلُ

في كتلٍ من رمالٍ رماديةٍ ناعمةْ.

في الهواء

يتحرك هذا الوباء الذي لا اسمَ له

يتسلل عبر الستائرِ

ينفذ بين شقوق النوافذِ

يسبح في الغرف الهادئةْ

ويشعّ من الضوء من شاشةٍ

ويرسب ظلاً على الأغطية

ويرشّ ببطءٍ على كل شيء

طبقات الغبار.

لا يكاد يُحَسُّ به حين يظهرُ

كلُّ علاماته

خللٌ غامضٌ في الرؤى

ودوارْ.

قدّاس لروحِ شاعرِ على حافةِ العالم

الجوقة

تحتضر الطيور في الاوكار

تنطرح الوحوش في الكهوف

تنكفئ الثعالب الشمطاء في الاوجار تنجذب الافيال

الى مكان صامت في اخر الغابة

مزدحم بالعاج والهياكل

حيث تموت موتها.

ووحده يموت في داخله الانسان

في العالم الباطن.

في مركز السريرة الساكن

يموت في غيبوبة الذكرى.

يموت في لحظة.

يكابد القيامة الكبرى.

الصوت ١

على حافة العالم المتلاشي

يطول الوقوف.

يطول مدى الانتظارات..

تقرع في الظلمات الطبول

ولا يتراءى احد،

على حافة العالم المتجمد،

تأبى الخيول ذهابا.

وتنكفئ الاشرعة.

ويخطو المسافر ظلا وحيدا،

وتخطو معه على الثلج ريح قديمة.

الصوت ٢

الدب الاكبر يظهر في افق اخر

الصوت ٣

بنات نعش تختفي في الفلك الاحمر بموكب مقلوب

الصوت ١

زفزفة الرياح

تعيد ذكرى حلم غابر

الصوت ٢

الريح القطبية

لا تنقل رجع الصوت

لا تنطلق الصرخة

لا يتذبذب في الريح

سوى نفس الموت

الصوت ٣

عصور الجليد تمر،

وطوفان هول بعيد

وطير وحيد

يرف على صفحات العوالم

الجوقة

عند خطوط الحدود

تندمج الازمنة

تتحد الاحلام والحوادث الممكنة

عند خطوط الحدود

يبتسم الاموات للاحياء

تبتسم الطفولة البيضاء

في صفحة النهاية

عند خطوط الحدود

تسفر عن طلسمها الاحزان

وتلعب الذكرى مع النسيان

عند خطوط الحدود

يشاهد الانسان

صورته من لحظة البداية

ويلمس الموت الذي يكمن في الوجود

محمود البريكان

١٩٧٠

قصائد تجردية \

عن الحرّية

دعوتموني لاكتشاف قارة أخرى

معاً. وأنكرتم عليّ رؤية الخريطة.

أؤثر أن أبحر في سفينتي البسيطة

فإن تلاقينا فسوف نحسن الذكرى.

***

قدّمتمو لي منزلاً مزخرفاً مريح

لقاء أغنيّه

تطابق الشروط.

أؤثر أن أبقى

على جوادي. وأهيم من مهبّ ريح

إلى مهبّ ريح

***

جئتم بوجه آخر جديد
لي، متقن حسب المقاييس المثاليِّه
شكراً لكم. لا أشتهي عيناً زجاجيه،
فماً من المطاط.
لا ابتغي إزالة الفرق. ولا أريد
سعادة التماثل الكامل.
شكراً لكم. دعوه يبقى ذلك الفاصل
أليس عبداً في الصميم سيّد العبيد؟
انتماءات

على المشهدْ
أسمّر نظرتي. لكنّ لي حلمي..
ولائي هو للأجمل والأبعدْ.
***
وعبر الصخب اليوميّ أنمّي صوتيَ النّاصع
وألقي وهج الفكر على الواقع.
***

أرى التاريخ مرسوماً بأكمله على نظرهْ

وأسمعه – خفيّ النبض – في صوت.

فلا ترعبني الفكرهْ

ولا يسحرني الموت

***

وعبر أسى المحطّات،

وجوع الروح والجسدْ،

وعبر النور والظلّ،

أظلّ أنشد الأبدْ

***

وحيداً أنتمي، حرّاً، إلى فكره

أرادت نحتها الموتى (ولم تُنحتْ على صخره)

إلى صوت النبوّات البدائيّ.

إلى الثورات قبل تجمّد الرؤيا.

إلى الحبّ السماويّ الذي ترفضه الدنيا.

إلى البرق الذي يكشف وجه الدهر في لحظه.

إلى حقل الجمال المزهر الأسنى.

إلى الحلم الطفوليّ الذي يخبو ولا يفنى.

إلى جزء من الإنسان في الظلمة مفقود.

إلى ما يسقط الضوء على منطقة المعنى

وما ليس بمملوكٍ. وما ليس بمحدود.

(قصيدة: هواجس عيسى بن الازرق في الطريق الى الاشغال الشاقة)

يصطخب القطار في طريقه الطويل

في نفق الظلمة نحو مطلع النهار

وددت لو يموت عنا ذلك النهار

وددت لو ينحرف القطار

عن دربه المشؤوم

(آه أيها الجنون

يهوّم الأطفال في تراقص الظلال

وتغرق النسوة في السكون،والرجال

يغفون في غير مبالاة ويحلمون

حلمهم المألوف....)

فوق الخشب البارد

والمعدن الصليب أطوي جسمي الراعد

يداي تجمدان في الكبل وتبكيان

والحارسان لا يكفّان يحدّقان

في وجهي العليل
لا أعرف الشكوى ولا يدهشني العدمْ
لكنْ على قلبي تدوس صخرة الألمْ
ويهبط العالم باكتئابه الثقيل.
يخفي المسافرون
وجوههم في صفرة الظلّ ويحلمون
بالغد.. الرجال متعبون يحلمون
بالبيع والشراء والفاقة والثراء
والأهل والبنين والوداع واللقاء
وضحكة المستقبلين آخر الطريق
ولحظة فلحظة يخنقني صمتي
وساعة فساعة أنظر في احتضار
أنظر من نافذة القطار
الى البراري واشتباك الليل والقفار
وغامض النجوم والزوابع الدكناء
تُسقى من الرمال،أصغي بلا رغبة
الى صدى الرياح،أو سهم من الصياح

يطلقه القطار في سكينة الجواء
وساعة فساعة أنظر في وجوم
الى البراري والمحطّات..أفي سبات
أنا؟ أمنْ عالمي انتُزعت ؟ ما أزال
أراقب الأشباح..أشخاصاً يلوّحون
يعدون يضحكون يصعدون ينزلون
كأنهم ليسوا سوى أشباح ذكريات
كأنهم ليسوا سوى حشد من الظلال
في حلم غريب.
الحارسان ما يزالان يدخّنان
ويلفظان كلمة ثمّ يعاودان
صمتهما الكئيب
وجهي إلى القفار
أنظر في البعيد
أنظر مشدوداً إلى الموت الى الحياة
محترقاً وحالماً بالموت والحياة
* * *

كنت اغنيك اذا اشتقت الى الغناء

وأذخر الحنين للربيع والشتاء

كنت أمنّي الحبّ بالزواج ، والسهاد

ما كان يشجيني ، بلى، والليل إذ يطول

كنت أحسّ في مداه فرح الحياة

وكنت في كلّ مساء أشهد الزهور

في المعرض الجميل كم وقفت للزهور

في ذلك الطريق كم سعدت بالعبور

مفكّراً في بيتنا :سأغرس الزهور

في كلّ صوب منه ، بل سأشتري بذور

أغرسها حديقة صغيرة ، تحوم

من حولها الطيور

أبكيك للحلم الذي بدّده الحديد

للأمل البعيد

للضحك والبكاء للصحة والمرضْ

للحبّ للحبّ الذي ليس له عوضْ

أبكيك مأسور طريق ماله رجوع

لاتنفع الدموع

الا اذا أحرقت الأوهام..تسعدين

بعدي ولا تنكرك المرآة..الحياة

حظّك والشباب: حاذري السنين

وابتسمي للشمس ، إنّ الأفق الحزين

ينكره الصباح : وانسي ما ستذكرين

أحبّ أن أعرف ما (وتسمحين)

أسماء أطفالك..لن أضعف..الحياة

خلفي..وليس بعد الا منظر الصخور

والقفر والفضاء والغبار والكلاب

والوهج المحرق والأقفال والسياط

في عالم من السدود تفتح القبور

للخارجين منه للعذاب باب

وللفناء باب

لا تستطيع الأمهات طرقه. يموت

رجع الصدى عنه وينأى طائف النداء

ستنطوي السنون ثمّ تنطوي السنون

ويطبع التقويم مرات بلا حساب
ويكبر الصغار..والشيوخ يهلكون
وتهدم الدور التي تهرم والأشجار
تسقط والشوارع الحمراء تستطيل
وتختفي الأصوات والألوان والرسوم
عن صخب يولد أوتوهّج جديد.
وأخوتي الصغار ربما سيقرأون
في كتبي يوماً،وأمي ربما تكون
عمياء..(ياويحي!فدى عينيك إذلالي!
وثقل أغلالي
للسجن ماولدتِ.هل يسعدك الولاد
لو كنت تدرين بما قُدّر من حداد
لكلّ أمّ تلد الإصرار؟
تذكرين
أني عصيّ الدمع..أني صامت العيون
فالآن!..)
الآن يدقّ قلبي الحطيم

دقّاً..يكاد يحطم الضلوع من جنون
الآن كالكلب أقاد !صامت الشفاه
كالهالك الموبوء لا يقربني إنسان
تنزلق العيون بالوحشة عن وجهي
وترمق الكبول في خوف وفي سكون
ما أغرب الكبول! كم رأيت مجرمين
من قبل يُدفعون في الدروب، يخفرون
في زحمة القطار يدخلون في السجون!
ما ملمس الحديد مثل منظر الحديد
وحزّه الأليم في اللحم وفي العروق
ليس له من صفة تُروى ولا شبيه
وليس من شبيه
لرعدة الصقيع،حين يمنع الحديد
يديك،أو يضرب رسغيك ليهدا
لو أنّ لي يدين تقطران بالدماء
لو أنّ لي يدين تنضحان بالسموم
لو أنّ لي يدين عبدتين

للغشّ والخداع
فقد تقرّان على قيدهما الصديء
لكنني بريء!
وليس في صدري سوى حبّ وعنفوان!
لست أخاف غير أن يهدّم الزمان
من هيكلي ما لم يهدّمْ ثقل الصخور
أن يشحب البريق في النظرة،والوهجْ
في الصوت،والقوّة في اليدين!أن أنوء
بالشوق والفكرة
أموت مرّتين! لا أموت مرّتين
تعول أعماقي أسىً أيّتها الحياة !
أريد أن أهواك رغم السوط والسلاح
والمعول الثقيل والشتائم المرّة
أريد أن أبقى على الحبّ..أأستطيع
بعد قبول النور ؟لو أرجعني الطريق
يوماً إلى الدنيا وقد أدركني المشيب ؟
يداي تجمدان في الكبل وتبكيان.

هل تألفان الكبل يوماً ما ؟ أتنسيان
عذوبة الكتاب وانتفاضة القلمْ
وهزّة الحماس وانبساطة السلام
إن كان لا بدّ من الضمور والألمْ
أن كان لا بدّ من التشوّه البطيء
أريد أن تُصلب كفّاي وتكفرا
أريد أن أرى
يديّ قبضتين، صخرتين، صلدتين
بلى ! ولا أريد أن أظلم في الظلام
** *
محطّة موحشة، نوافذ القطار
تُفتح، والباعة يعرضون للعيون
أطباقهم، وبعض أعراب مسافرين
يندفعون الآن إنّهم يحدّقون
في عيني اليسرى(وقد ضُربتُ في الصباح
أمس !)وينظرون في مقت وفي قسوة
إلى يديّ ! (أيّ شيء يجذب العيون

في حلق الحديد ؟)

فيمَ تقطبون

لنظرة منّي ؟وكيف كيف تفهمون

أني امرؤ صديق ؟

أنا لكم حزين

لا تلهب الشمس أغانيكم، ولا الرياح

تسقط أوراقكم الذابلة الصفرا

أنا لكم حزين

إذا تذكّرت غداً وضاءة الصباح

وموتكم فيه، فقد تحزنني الذكرى

* * *

أربع ساعات وسوف يشرق النهار

إلاّ على قلبي

تراكم الغبار

والحارس الجالس في صمت إلى جنبي

يغلق في فضاضة نافذة القطار

عليّ أن أنام، لا أحبّ أن أطيل

تامّل الوجوه

إيه ! أحسّ جهشة الأعماق من نفسي

ما أطول الطريق !

ما أبعد العالم !ما أغربه كلّه

* * *

أعرفه ، فهو طريق موحش سحيق

ولم تكدْ تبتدىء الرحلة ..

(الملوك)

وجوههم مؤطرة في لوحات المتاحف

واسماؤهم مسطرة في كتب التاريخ

وسيرهم تتحول الى قصص مسلية

تركوا للخدم ثياب نومهم واحذيتهم المنزلية

وطرحوا تيجانهم للمتنافسين على الملك

وخلفوا ثرواتهم لورثة عاطلين

اما لحوم اجسادهم

فهي حصة دود الارض .

قصة التمثال من آشور

قصة التمثال من آشور

في غرفة الزجاج ْ

في متحفٍ

يقبع في مدينة ضائعة ْ

ترسب في بلاد ْ

مهجورة

في قارة واسعة ْ

هذا انا، مرتفع، أواجه العيون ْ

أشلّها

أنفض في نهاية السكون ْ

حوادث الدهر، ورعب المائة التاسعة.

معبود نينوي

سيدها

في لحظه غامضة ْ

برزت للوجود ْ

على صدى ازميل

في راحتي نحات

في قاعة الاحجار والسجيل ْ ...

قبائل الأموات ْ

تنحر لي ذبائح الرعبِ

وكم اصوات

تهتز بالكابوس في ذبذبة الترتيل ْ .

سميت الواناً من الأسماء ْ

بخرت بالعطور والأنداء

ختمت بالخواتم ْ

عيناي ماستان ْ

تخترقان الليل، من مناجم

لم يكتشف اسرارها انسان ْ

يعترف الزمن

بهذه الذاكرة ؟

انا رأيت القمر الناعم

عند ابتداء الليل ْ

وضجة الزلزال قبل الساعة العاشرة

انا رأيت الخيل

تقتحم الخدور ْ

رأيتها ترتفع الرماحُ بالجماجم

رأيتها تختلج الرؤوس

بعد سقوط السيف ْ

رأيت كيف ترقص العروس

في زفة الموت ْ

وكيف تطفئ الشموس

زوبعة العواصم

يعترف الزمن

بهذه الذاكرة ؟

تساقط القلاع والأسوار

والقحط والأمطار

والقمح والحديد

والبدء من جديد

وقوة السيف الذي يحدجه الرجال ْ

برهبة، في غمده الجلدي

يعترف الزمن

بذلك الواقع (أو بذلك الخيال) ؟

الموعد السري

لموت اسطورة

وبدء مشروع من المحال ْ

أو بئة التاريخ

دورتها المجهولة التقويم ْ

اشعة الحرائق ْ

تلون الوجه والسماء والحدائق ْ

ارادة القوة

وشهوة التحطيم ْ .....

فقدت ماساتي

جردت من خواتمي ... جزت ذؤاباتي

دحرجت من قاعدتي

نقلت من مكانْ

إلى مكان ْ

حاورتني البوم والعقبانْ

تسلقت اضلاعي الصبيان

ُجّرب فأس ما

في جسدي يوماً

ربطت بالحبالْ

سحبت ممدوداً علي وجهي

وراء زوجين من البغال ْ

حرست سوراً مرة

ومرة آخرى

وضعت في مدخل قصر ما

قطرت في جيش من الجيوش

تركت في الصحراءْ

ممدداً، تغسلني الانواءْ

تجفف السموم ْ

أقصى حجيراتي

محدقاً تحديقة الابد ْ

محاجري البيضاء

مفتوحة لعالم النجوم ْ

ينحسر البحر ولا تبقى سوى الاصداف ْ

في باطن الارض ِ

تهب الريح بعد الريح ْ

تعيد توزيع الرمال الحمر

والغربان ْ

حطت هنا، واندمجت في دورة الأفق ْ

قوادم الصقور

رفت على العنق ْ

واحترقت على ذرى الكثبان ْ

عجائز الذئاب

توسدت جسمي

هاربة الي مكان ما

قوافل اللصوص

تفيأت جنبيَّ، حيث تترك الفصوصْ

أثارَها، وحيث تبني النملُ من ترابْ

مملكة التوازن الأعمى

في غرفة الزجاج ْ

منتصب، تحدق النساء ْ

في جسدي الخالي من التعقيد

(في وسط الحوض على التحديد)

يبتهج الاطفال

لان أذني سقطت، وحاجبي مكسور

لأن في صدري

دائرة خالية (مفزعة في النور)

في غرفة الزجاج ْ

لا يصل الصوت ُ

ولا يُلمس سطح الموت ْ

يبدو رجال، ربما يواصلون الهمس ْ

عن ظفري الايسر ْ

في غرفة الزجاج ْ

لا تسقط الاصابع الرثة

لا تصل الشمس، ولكن يصل المجهر

في غرفة الزجاج ْ

وحيدة تنتصب الجثة .

البريكان شعاع على حياته وادبه

١محمود داود البريكان (١٩٣١ - ٢ شباط/فبراير ٢٠٠٢) شاعر عراقي. ولد في مدينة البصرة. تخرّج في كليّة الحقوق في جامعة بغداد بعد ان بدا دراسته في دمشق، عمل مدرّسًا للغة العربية في ثانويات العراق والكويت.

٢(في العام ١٩٤٧، وأنا لا أزال في مرحلة الدراسة الثانوية (ثانوية العشّـار بالبصرة)، ظهرت على أحد حيطان المدرسة، لوحة من الورق المقوّى، بيضاء، تعلن بخطّ يد متعدد الألوان، عن مجموعة شعرية مشتركة، ذات أربعة أسماء: بدر شاكر السياب، أكرم الوتري، رشيد ياسين، محمود البريكان. هذه المجموعة الشعرية لم تصدر البتّـة، لسبب

أو لآخر متّصل كما أظنّ بصعوبة النشـر في بلد مثل العراق آنذاك، وفي مدينة مثل البصرة ظلّـت تابعاً مهملاً للعاصمة منذ تأسيس (الحكم الوطنـيّ).

لكنّ هذا الأعلان الذي ذهب مع الريح، يُـعتبر، كما أرى، مؤشراً لصلة محمود البريكان المبكرة والأساسية

بحركة التحديث الأعمق أثراً في الشعر العراقي فالعربيّ.سعدي يوسف)

٣ يعد محمود البريكان من الشعراء الرواد والمجددين في الشعر العربي مثل السياب ونازك الملائكة وبلند الحيدري وعبد الوهاب البياتي وأمل دنقل وغيرهم. كان السيّاب من أصدقاء البريكان المقربين، يتردّد عليه دوماً ويقرآن على بعضهما قصائدهما الجديدة.

٤في عام ١٩٥١ كتب البريكان ملحمته الشعرية الطويلة «أعماق المدينة».. قرأها على السيّاب فأعجبته كثيراً، وبعد ذلك بثلاث سنين قال له السيّاب إنه استلهم منها قصيدته الطويلة «حفّار القبور»، وقال في وصفها: هي قصيده «بريكانية»..

إضافة إلى عظمة الإبداع الشعري عند محمود البريكان، كان الملمح الأبرز في حياته هو العزلة، والعزوف عن النشر والظهور في المحافل الأدبية والأمسيات الشعرية،

٤ (ثماني عشرة قصيدة مؤرخة بين أعوام ١٩٧٠ و١٩٩٢ هي مادة ديوان خروج الشاعر من صمته، والذي أعطاه عنواناً دالّا: عوالم متداخلة. كانت تلك

القصائد بين يديَّ بعد رحلة للبصرة أواخر عام ١٩٩٢ للحصول على ما يمكن نشره في مجلة (الأقلام) من شعر البريكان. يحدس البريكان نهايته كما ستحصل بعد أعوام، إذ يقتحم قاتل سارق بيته الذي يسكنه وحيداً في تلك الليلة الباردة. إنه لا يشخّص حالته وحده. فهو مهموم بمصير الإنسان عمومًا. ومن أجل ذلك يرى أن الشعر يجب أن يحمل فكراً لن يفقده حرارته الخاصة بل سيحمل من الإحساس "أكثر مما يسمى شعرًا عاطفيا".

يرقى الفكر بقصائد البريكان ويمنحها حداثة خاصة. إنه لا يتنازل عن الإيقاع الذي يمنحه الوزن للشعر. لكنه يذيب إيقاع الوزن الصادي، ويلغي التقفية كثيراً. فلا يواجه القارئ غنائياً أو موسقة للفكرة تطفو فوق بنيتها وبؤرتها الفكرية. لذا نجد مرحلة "عوالم متداخلة" الممتدة من عام ١٩٧٠ حتى التسعينيات تندر فيها التقفية بشكل واضح. استعاض الشاعر عنها بأدوات إيقاعية عدة؛ منها الاستطراد والتداعي، حيث تنثال المفردات والصفات والجمل لتكمل تأثيث الفكرة في النص، أو يلجأ إلى التكرار الإيقاعي المدروس بدقة وقصديّة، وأخيرًا هناك الاهتمام المفرط بالبنية الخطّية أو الهيئة

التي يتخذها النص. وأحسب أن البريكان من أكثر الشعراء اهتمامًا بذلك....

في "عوالم متداخلة" دشن البريكان نوعًا شعريًا لم يكن متداولاً في حينه (١٩٧٠)، هو القصيدة الشذرية، كما أسميها، أو قصيدة الومضة، وهي شديدة القِصر حتى تصل عنده أحيانًا إلى بيت واحد.) الناقد العراقي د. حاتم الصكر

٥ (<اعترف ان التعامل معي صعب ..فانا بسيط الا بقلمي فهو عصي الا بارادتي م) .(قلت لصديقي يوما <لست لغزا لكن فهمي بالغ التكاليف <)..(كان والدي يصر على ان ادخل كلية الحقوق. فدخلتها مكرها وكان طموحي يتجه للاداب..انه الخيار الذي اثر على حياتي ..لولا اصراره لحصدت الدكتوراه في الادب وتجاوزت المعرقلات ..كنت ادرس في مدرسة واواصل دراستي في الوقت نفسه في الكلية ..فكرة ابي ان التحصيل الدراسي يجعلك تمارس وظيفتك تحت رحمة مروحة ..كنت اتحرج اطلب منه حتى الضروريات..بعد عامين انقطعت عن الدراسة لامارس التعليم تحت ضغط الظروف لقد مر والدي بخسارة في العمل التجاري ..وقلت لاخي ساكمل الجامعة لا حقا فاجابني :(لا يمكن)..سافرت الى الكويت وهناك عشت في غرفة تضم

سبعة اشخاص و مارست التعليم في مدرسة قتيبة..تحملت الظروف القاسية (مجهر على الاسرار وجذور الريادة \ كاظم حسن سعيد).

استعاض الشاعر عنها بأدوات إيقاعية عدة؛ منها الاستطراد والتداعي، حيث تنثال المفردات والصفات والجمل لتكمل تأثيث الفكرة في النص، أو يلجأ إلى التكرار الإيقاعي المدروس بدقة وقصديّة، وأخيرًا هناك الاهتمام المفرط بالبنية الخطّية أو الهيئة التي يتخذها النص. وأحسب أن البريكان من أكثر الشعراء اهتمامًا بذلك....

في "عوالم متداخلة" دشن البريكان نوعًا شعريًا لم يكن متداولاً في حينه (١٩٧٠)، هو القصيدة الشذرية، كما أسميها، أو قصيدة الومضة، وهي شديدة القِصر حتى تصل عنده أحيانًا إلى بيت واحد.) الناقد العراقي د. حاتم الصكر.

الخاتمة

لم يكن محمود البريكان مجرد شاعرٍ ينسجُ كلماته على نول الزمن، بل كان روحاً تهيمُ في عوالم الفكر والتأمل، تُطوِّف بين أودية الحيرة وفضاءات الوجود، فتلتقطُ من سكون الليل حكمته، ومن ضوء الفجرِ خيوطَ البوحِ العميق.

لقد كتبتُ عنه لا عن شاعرٍ فحسب، بل عن تجربةٍ فريدةٍ أغناها الصمتُ كما أغناها الحرف، وألهمها التأملُ كما ألهمها الألم.

وقد عمدتُ في هذا الكتاب إلى انتقاء درر قصائده، فسلَّطتُ الضوء على ما فيها من عمقٍ وجدانيٍّ وفلسفيٍّ، واختطفتُ من ديوانه صدى نبضاته المتفرقة، تلك التي

كانت وما زالت صدىً لروحٍ كبيرةٍ تأبى الزوال. وقسّمتُ الكتابَ إلى اربعة أقسام؛

فجاء القسم الأول مقدمةً تسبر أغوار شعره، وتُلقي نظرةً على ملامحه الإبداعية.

أمّا الثاني فوقف عند الرؤى النقدية التي تناولت عالمه الشعري، متجنبةً الزجَّ بالمصطلحاتِ المعقّدة، بل عمدتُ إلى لغةٍ سلسةٍ تُقرِّب القارئ من هذا الشاعر العظيم بدل أن تُبعِده عنه.

القسم الثالث فهو مختاراتٌ من شعره، انتخبتُ منها ما يعكس تطور تجربته، سواء في قصائده القصيرة الحادّة كالسهام، أو في مطولاته المترعة بالتأمل مثل :

حارس الفنار،وإنسان المدينة الحجرية ،وغياب الشاشة ،والنهر الغامض وعددا آخر من أجمل قصائده .

اما القسم الرابع فهو القاء الضوء باختزال على حياته وادبه.

ولا يسعني في ختام هذا العمل إلا أن أقدّم جزيل الشكر للأديب الكبير كاظم حسن سعيد، الذي كان بعين الناقد الخبير، ويد الموجّه الحكيم، إذ سهر على انجاز هذا الكتاب ليرى النور إشرافاً وتوجيهاً حتى استوى على ماهو عليه، فله مني عميق الامتنان والتقدير.

بسمة الصباح

الفهرست

١المقدمة بقلم كاظم حسن سعيد

٢مقدمة المؤلفة

٣قصيدة البدوي الذي لم ير وجهه احد

٤ قصيدة النهر الغامض
٥ قصيدة غياب شاشة
٦ قصيدة انسان المدينة الحجرية
٧ قصيدة حارس الفنار
٨ الخاتمة
٩ مختارات من قصائد البريكان
١٠ البريكان شعاع على سيرته وادبه